الباب الأول

«ألا ليت الشباب يعود يوماً» !

الفصل الأول

الشباب

١ – أ : مرحلة الشباب :

يجيء تحديد فترة الشباب على لسان **أبى العلاء المعرى** ؛ إذْ يقول (١٦٤/٣٦) :

٧٤ ومابعد مرِّ الخمسَ عشْرة من صبًا ولابعد مرِّ الأربعين صباءُ

وفى بيت آخر يحدد عهد الشباب بأنه الفترة بين الصِّبا والمشيب فيقول (١٧٧/١/١١) :

٧٥ وعيشىَ الشباب وليس منها صباى ولاذوائبىَ الهِجانُ

٧٦ وكالنارِ الحياة فمن رمادٍ أواخـرهـا وأوّلها دُخـانُ

١ – ب : مدح الشباب :

يرى الشعراء فى الشباب عهد اللهو والمراح ، والقوة والفتوة ، والصحة والعافية ، والسرور والغبطة ، ولهذا فهم لايفتئون يمدحونه ويذكرون أيامه ، فيقول **الأحوص** (١٣١/٣/١٠) :

٧٧ إن الشباب وعيشنا اللَّذَّ الذى كُنَّا بِهِ زمناً نُسَرُّ ونجذلُ

ويقول **أبو العتاهية** (١٠٦/٧) :

٧٨ إن الشباب حجة التَّصابى روائـح الجنـة فى الشباب

ويقول **عبد الله بن الأبرص** (٢٨٤/٩) :

٧٩ دَرَّ دَرُّ الشباب والشعر المسودّ م والضامرات تحت الرحال[1]

ويحدثنا **أبو العلاء المعرى** عن نعمة الشباب ووجوب معرفة قدرها ، وكيف أن الشبيبة يتمناها جميع الحيوانات على اختلافها من الجن والإنس والنعم ، والطيور السحم ، والظباء العُفْر ، فيقول (١٩٧١/٥/١١) :

---

(١) جاء فى مجالس ثعلب ٢ /٤٣٤ أن البيت لأبى العباس ، وورد لفظ « الأسود » بدلا من « المسود » ، ولفظ « الضامزات » بالزاى المعجمة .

٨٠ تنكّرْتَ فاعرف للشبيبة موضِعًا لكلِّ ضميرٍ من هَواهُ وساوسُ
٨١ تمناه إنسيٌّ وأَعْيَسُ بازلٌ وأسْحم طيارٌ وأعْفَرُ كانِسُ

والشعراء إذ يمتدحون الشباب ، نراهم يحضون على التصابى والتمسك بحلاوة الشباب ، من ذلك قول **الشاعر** (٢٠٩/٢٢) :

٨٢ كُنْ لأخلاق التَّصابى مستمريًا ولأحوالِ الشبابِ مستحلياً

وقول **أحمد شوقى** وهو يمدح الشباب ويذم المشيب (٢٢٨/٢٤) :

٨٣ جارِ الشبيبةَ وانتفع بجوارها قبل المشيب فماله من جار

وإن مجرد ذكرى الكبير شبابه تجعله يفيض حيوية وطرباً : كقول النحويين (٤٦/٤/٣) :

٨٤ قالوا كبرت فقلت إنَّ ، وربما ذكر الكبيرُ شبابه فتطرّبا

ويرى **السرّى الرِّفاء** أن طيب العيش يذهب بذهاب الشباب فيقول (٩٧١/١١/١٤) :

٨٥ فالعُيش – فى ظلِّ أيام الصِّبا فإذا ودَّعْتَ طيبَ الشبابِ الغَضِّ لم يطب

ويصف **الحسن** جهل الشباب ورونقه وزينته ، وسواد الشعر فيه قبل أن يرقعه الخضاب فيقول (٣٥٢/٢/١) :

٨٦ ولدانى إذ ذاك فى طاعةَ الجهْـ ـل وقوتى من الصِّبا إمراءُ
٨٧ تِرْبَ عَيْشٍ لريطتى فضلُ ذيْلٍ ولرأسى ذؤابةٌ فَرْعاءُ
٨٨ بقناع من الشبابِ جديدٍ لم يرقِّعْهُ بالخضاب النساءُ
٨٩ قبل أن يلبس المشيب عِذارىَّ م وتَسْبِلى عمامتى السَّوداءُ

وقال **بعضهم** يعبر عن حبه للسواد ؛ لأنه لون شبابه (١١٥/٧) :

٩٠ أهوى الشبابَ لأن شيبى أبيضٌ يردى الفتى وأحب لون شبابى

١ – ج : ذم الشباب :

إن الشعراء الذين يذمون الشباب يرون أنه مطية الجهل ، وأنه جنون ، وأنه عهد الغىّ والإثم وارتكاب الذنوب والمعاصى ، ومن أمثلة هذا كله قول **النابغة الذبيانى** (١٠٧/٧) :

٩١ وإن يك عامرٌ قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب

وقوله (٦٠/٣/٤٥) وكأنما خاله النعمان بن المنذر :

٩٢ فإنك كالليل الذى هو مُدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقول ابن أبى فنن (٣٦٠/٢/١)

٩٣ قالت عهدتُك مجنوناً فقلتُ لها إن الشباب جنون برؤه الكِبَرُ

وقول حسان بن ثابت (١٣٨٧/٣/١١ ، ويروى أيضاً لابنه عبد الرحمن كما فى الحيوان ١٠٨/٣) :

٩٤ إن شرخ الشباب والشعر الأسْـ ـود مالم يعاص كان جنونا

ويصف أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبى كيف يسوّد الشباب الصحف بالذنوب فيقول (١٠٧/٧) :

٩٥ لم أقل للشباب فى كنف الله م ولاستره غداة استقلاَّ

٩٦ زائراً لم يزل مقيماً إلى أن سَوَّدَ الصحف بالذنوب وَوَلىَّ

ويقول الشاعر (٨٩/٥٧) :

٩٧ ولقد نزعتُ مع الغواة بدلوهم وأسمت صرح اللهو حيث أساموا

٩٨ وبلغتُ مابلغ امرؤ بشبابِهِ فإذا عُصارةُ كل ذاك أثام !

وعن ذكريات الشباب المؤلمة يقول ابن الرومى من قصيدته فى عبيد الله بن عبد الله التى عنوانها « ذكرى الشباب » (١٩٠/١٧) :

٩٩ يذكّرنى الشبابُ هوانَ عُتْبى وَصَدُّ الغانيات لدى عتابى

١٠٠ يذكّرنى الشبابُ سهام حَتْفٍ يُصِبْنَ مقاتلى دون الإهابِ

ويرى الشعراء أن الشباب سراب خادع يملأ النفس بالمنى ، ثم يترك المرء رهين مااقترف فى شبابه من ذنوب ، فنسمع أبا الأسود يخاطب الشباب قائلاً (٣٢٦/٢/٤٩) :

١٠١ غَدَا منك أسبابُ الشباب فأسرعا وكان كجارٍ بان يوماً فَودَّعا

١٠٢ فقلتُ له فاذهب ذميماً فليتنى قتلتُكَ عِلْما قبل أن تتصدَّعا

١٠٣ جنيتَ علىّ الذنب ثم خذلتنى عليه فبئس الخلّتان هُما معا

١٠٤ وكنت سرابًا فاضحاً إذ تركتنى رهينة ما أجنى من الشرِّ أجمعا

ويقول **إيليا أبو ماضي** على لسان شاب يريد أن يسرع به الزمن ليغدو شيخاً حكيماً ، فيتخلص من أحلام الشباب التي يشقى بها كثيراً ، فيخاطب ربه قائلاً (٢٨١/١/٤٨) :

١٠٥ عبء على نفسي هذا الصبيّ م الجائشُ المستوفز الطّامي
١٠٦ يزرع حولي زهرات المنى وشوكها في قلبيَ الدّامي
١٠٧ خُذْهُ وخذ قلبي وأحلامه فإنني أشقى بأحلامي
١٠٨ وازرع نجوم الشيب في لمّتي فينجلي حِندِسُ أوهامي

١ – د : البكاء على الشباب :

لايفتأ الشعراء يذكرون شبابهم ، ويبكونه ويتحسرون عليه ، ويتمنون عودته ، وهم يتشبثون به وإن كانوا يعلمون أن ذهابه بلاعودة ، وأن أيامه قصيرة سرعان ماتولىّ .

ونبدأ ببيت **لأبي العتاهية** هو الذي يسبق البيت رقم (١) الذي اتخذناه إطاراً لبحثنا هذا ، إذ نسمعه يقول (٤٢٩/٨) :

١٠٩ عَرِيتُ من الشباب وكان غضًّا كما يَعْرَى من الورق القضيبُ

ويقول **ابن الرومي** (١٠٧/٧) :

١١٠ أيابُرْدَ الشباب لكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
١١١ لبستك برهةً لبس ابتذالٍ على علمي بفضلك في الثياب
١١٢ ولو ملكت صونك فاعلمنه لصنتُكَ في الحرير من الغياب
١١٣ ولم ألبسك إلاّ يوم فخرٍ ويوم زيارة الملك اللباب

ونسمع **تاج الدولة أبا الحسن أحمد بن عضد الدولة** يقول (٩/١١/٤) :

١١٤ هَبِ الدهرَ أرضاني وأعتب صرفُه وأعقب بالحسنى من الحَبْس والأسْرِ
١١٥ فمَنْ لي بأيام الشبابِ التي مضتْ ومَنْ لي بما أنفقتُ في الحبْسِ مِنْ عُمري؟

ويقول **محمود سامي البارودي** يتشوق وهو في المنفى (٨٥/١/١٥ ، ٤٩٦/٢/١٥) :

١١٦ رُدُّوا عليَّ الصِّبامن عصريَ الخالي وهل يعودُ سوادُ اللّمة البالي؟

ويقول **الشاعر** (٦٥٥/٢/١١) :

١١٧ زمان الصِّبا ليت أيامنا رجعن لنا السالفاتِ القصارا

ويقول **ظافر الحداد** (٩١/٣٢) :

١١٨ أسَفى على ورد الشباب الزائل أسفاً يطولُ عليه عضّ أنامل

١١٩ ولّى فلا طمع لعطفة هاجرٍ منه ولا أمل لأوبة راحل

ويقول **لبيد** (٣٤٩/١٠٨/٢١) :

١٢٠ وتبكى على إثر الشباب الذى مضى ألا إن أخدان الشباب الرعارع

ومن أكثر الشعراء بكاء على الشباب وتحسراً عليه **أحمد بن محمدبن عبد ربه** الأندلسى ؛ فقد وجدنا له على سبيل المثال نحو خمسة وأربعين بيتاً فى هذا المعنى نورد منها مايلى ، يقول ابن عبد ربه (٨٤٢/٩/٤) :

١٢١ وَلَّتْ ليالى الصِّبا محمودةً لو أنها ترجع تلك الليالْ !

ويقول (٨٣٢/٩/٤) :

١٢٢ وَلّى الشبابُ وكنتَ تسكنُ ظِلَّهُ فانظر لنفسك أىَّ ظِلٍ تسْكُنُ

١٢٣ وانه المشيبَ عن الصِّبا لو أنه يُدلى بحجته إلى من يُعْلِنُ

ويقول (٨٣٢/٩/٤) :

١٢٤ كنتُ أليفَ الصِّبا فودَّعنى وداعَ مَنْ بانَ غيرُ مُنْصرفِ

١٢٥ أيامَ لهوى كظلٍّ إسحِلةٍ وإذ شبابى كروضة أنف

ويقول (٢٩٦/٦/١) :

١٢٦ وَلّى الشبابُ فقلتُ أندبُه لامثل ماقالوا ولاندبوا

١٢٧ «دِمَنٌ عَفَتْ ومحا معالِمها هطْلٌ أجَشُّ وبارعٌ تَرِبُ»

ويقول وهو يذكر نعمة الشباب ويتمنى لو كانت تدوم (٣٥٣/٢/١) :

١٢٨ قالوا شبابُكَ قد مَضَتْ أيّامُهُ بالعيْش قلتُ وقد مَضَتْ أيّامى

١٢٩ لله أيَّةُ نعمةٍ كان الصِّبا ! لو أنها وُصِلَتْ بطولِ دَوام

١٣٠ حسر المشيبُ قناعَهُ عنَ وجْهِهِ وَضَحا العواذِلُ بعد طولِ ملامِ

١٣١ فكأن ذاك العيش ظلُّ غمامةٍ وكأن ذاك اللهو طيف منام

ويقول (١/٢/٣٥٣)[٢]

١٣٢ شبابى كيف صرتُ إلى نفاد ... وبُدِّلْتُ البياضَ من السوادِ

١٣٣ وما أبقى الحوادث منك إلاّ ... كما أبْقَتْ من القمر الدآدِى

١٣٤ فراقكَ عَرَّفَ الأحزانَ قلبى ... وفَرَّقَ بين جَفْنِى والرُّقاد

١٣٥ فيالنعيم عيشٍ قد تولىَّ ... ويالغليلِ حُزنٍ مُسْتفادِ !

١٣٦ كأنىَّ منكَ لم أَرْتَعْ بربْعٍ ... ولم أَرْتَد بِهِ أحلى مَرادِ

١٣٧ سقى ذاك الثرى وَبْلُ الثريا ... وغادى نبتةً صوبُ الغَوادى

١٣٨ فكم لى مِنْ غليلٍ فيه خافٍ ... وكم لى من عويل فيه باد

١٣٩ زمانٌ كان فيه الرشدُ غيًّا ... وكان الغىُّ فيه من الرشادِ

١٤٠ يُقَتِّلُنى بدلّ مِنْ قتولٍ ... ويُسعِدُنى بوصْلٍ مِنْ سُعَادِ

١٤١ وأجْنُبُهُ فيعطينى قياداً ... ويجنبنى فأعطيه قيادى

ويقول (١/٦/٣٤٠ ، ٤/٩/٨٥٧) :

١٤٢ أما الشباب فَوَدَّعَتْ أيامُهُ ... ووداعُهُنَّ مُوَكَّلٌ بوداعى[٣]

١٤٣ لله أيامُ الصِّبا لو أنها ... كَرَّتْ عَلَىَّ بلذةٍ وسَماعِ !

وفى تحسره على الشباب نجد أن ابن عبد ربه يتحدث عن عدم الارعواء بعد أن وَلىَّ الشباب فيقول (٤/٩/٨٦٠) :

١٤٤ ألا يازين قلبى للشباب م العَفْر اذْ وَلَّى[٤]

١٤٥ جعلتُ الغىَّ سِرْبالى وكان الرشد بى أَوْلى

ونجد **جميل بن معمر** يتمنى أن يعود الشباب ؛ لأنه عهد الهوى ولقاء الأحبة فيقول (٥/٨/١٠٣) :

١٤٦ ألا ليت ريعان الشباب جديدُ ... ودَهْراً تولَّى يابثين يعودُ[٥]

---

(٢) يلاحظ أن هذه الأبيات وردت مختلفة قليلاً فى يتيمة الدهر ٩ /٨٣٣ .

(٣) وردت كلمة « بوداعى » فى يتيمة الدهر ٩ /٨٥٧ ، أما فى العقد الفريد ٦ /٣٤٠ فقد وردت كلمة « بوداع » .

(٤) ورد فى العقد الفريد ٦ /٣٤٢ لفظة « دين » بدلا من « زين » و « الغضّ » بدلا من « الغر » .

(٥) ورد فى المنتخب ٢ /١٣٨ « أيام الصفاء » بدلا من « ريعان الشباب » .

كما نجد **أحمد شوقى** يحنّ إلى ذكريات الصبا وأيام أنسه ومراحه فيقول (٤٠/٢٢) :

١٤٧ اختلاف الليل والنهار يُنسى اذكرا لى الصِّبا وأيام أنسى
١٤٨ وصفا لى ملاوةً من شباب صورت من تصوراتٍ ومَسّ
١٤٩ عصفت كالصّبا اللعوب ومرّتْ سِنة حلوة ولذة خلس

ويرى **قعنب بن أم صاحب** أن عهد الهوى يولّى إذا ماولّى الشباب فيقول (١٩/٣٥) :

١٥٠ علقت سلمى على عصر الشباب فقد أودى الشباب وسلمى الهم والحزن

كذلك فإن طيب العيش يولّى إذا ولّى الشباب ، كقول **ابن أحمر** (١٨٠/٢/٣) :

١٥١ بانَ الشبابُ وأفنى ضعفَه العُمرُ للهِ درّى ! فأىَّ العيش أنتظر ؟

وقول **الشاعر** يتحسر على عهد اللهو والعبث (٥٠٣/٨) :

١٥٢ لعمرى لئن حلّئت عن منهل الصِّبا لقد كنت ورّاداً لمشربه العذبِ
١٥٣ ليالىَ أغدو بين بُردين لاهياً أميس كغصن البانة الناعم الرطب

وقول آخر (١٩٥/٢٤) :

١٥٤ ياطيب نعمة أيام لنا سلفت وحُسنَ لذة أيام الصِّبا عودى !
١٥٥ أيام أسحب ذيلى فى بطالتها إذا ترنّم صوت الناى والعود

كذلك نجد أبياتاً **لأبى العلاء المعرى** فى التحسر على الشباب والبكاء عليه ، فنسمعه يقول فى إحدى قصائده (٦٥٥/٢/١١ ، البيتان الثالث والرابع) :

١٥٦ إذا الفتى ذَمَّ عيشاً فى شبيبته فما يقولُ إذا عصرُ الشباب مضى ؟
١٥٧ وقد تعوضت عن كُلٍّ بِمُشْبِهِه فما وجدتُ لأيام الصِّبا عِوضا !

ويقول من قصيدة له فى الفخر (٣٦٣/٢/١٥ – ٣٦٤) :

١٥٨ وأطربنى الشبابُ غداة وَلّى فليت سنيه صوتٌ يُستعادُ !
١٥٩ وليس صِباً يُفادُ وراء شيبٍ بأعوز من أخى ثقةٍ يُفادُ

ويقول فى استحالة عودة الشاب ، من قصيدة له (٣٦٢/٢/١٥) :

١٦٠ ولكن الشباب إذا تولّى فجهلٌ أن تروم له ارتدادا
١٦١ وأحسب أن قلبى لو عصانى فعاود ماوجدتُ له افتقادا

وفى هذا المعنى يقول السيد **الحميرى** (٢٣٩/٢/١) :

١٦٢ إذا ما المرء شاب له قذال وعلّله المواشِطُ بالخضابِ
١٦٣ فقد ذهبت بشاشته وأودَى فقُم يابالكِ وابْكِ على الشبابِ
١٦٤ فليس بعائدٍ ما مات منه إلى أحدٍ إلى يوم المآب

ويمضى الشعراء فى بكائهم على الشباب وتمنّى عودته ، حتى إن الشاعر ليتمنى أن ينقص من عمره فى مقابل أن يعود إليه الشباب ، كقول **ابن طباطبا العلوىّ** (٩٧/٣/٤٥) :

١٦٥ ياعيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً وردَّ من الصِّبا أياما

غير أن الشاعر يعلم علم اليقين أن الشباب لايعود ، فنسمع **حميداً** يقول : (٥١٧/١١٦/٢١) :

١٦٦ ليس الشباب عليك الدهرَ مرتجعاً حتى تعود كثيباً أُمُّ صَبَّارِ

وفى هذا المعنى يقول **محمود سامى البارودى** (١٠٦/٢٨) :

١٦٧ أين أيام لذّتى وشبابى ؟ أتُراها تعودُ بعد الذهابِ ؟
١٦٨ ذاكَ عهدٌ مضى ، وأبعد شىء أن يَرُدَّ الزمانُ عهدَ التَّصابى
١٦٩ كل شىء يسلوه ذو اللّب إلاّ ماضِىَ اللهوِ فى زمان الشبابِ

ونحن نجد أن الشاعر الهذلى « **أبو كبير** » يبدأ أربع قصائد له بأربعة أبيات متشابهة فى اللفظ والبناء وقد أوردنا ثلاثاً منها فى ٢ – د – ٢ الخاص بحتمية المشيب ، وكلها يبدؤها بنداء « زهير » . يقول أبو كبير فى مطلع القصيدة الرابعة (٨٨/٥٠ – ٨٩) :

١٧٠ أزهير هل عن شيبةٍ من مَعْدِلِ أم لاسبيل إلى الشباب الأول

ويقول :

١٧١ أم لاسبيل إلى الشباب ، وذكرُهُ أشْهَى إلىّ من الرحيق السَّلْسَلِ
١٧٢ ذهب الشبابُ وفات منى مامضى ونضا زهير كريمتى وتبطَّلى
١٧٣ وصحوتُ عن ذكرِ الغوانى وانتهى عُمُرى وأنكرتُ الغداة تقتّلى
١٧٤ أزهير إن يشب القذال فإننى رب هَيْضَلٍ مَرِسٍ لففْتُ بِهَيْضل

وإنه لما يزيد من حزن الشعراء أن الشباب أيامه قصيرة ، فهى تمضى سراعاً كما يمضى كل شىء

جميل . يقول **حسان بن ثابت** (٥٩٠/٨) :

١٧٥ لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدومُ
١٧٦ لويدبّ الحولى من ولد الذر م عليها لأندبتها الكلومُ

ويقول **صريع الغوانى** (٣٥٢/٢/١) :

١٧٧ واهاً لأيام الصِّبا وزمانه لوكان أسعف بالمقام قليلا
١٧٨ سل عيشَ دَهْرٍ قَد مضت أيامُهُ هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا ؟

ويصف **ذو الإصبع العدوانى** حاله حين كان فى ريعان الشباب ترمقه الحسان بإعجاب ، ويتحسر على ذهاب الشباب فيقول (٩٦/٣/٥) :

١٧٩ وكنتُ إذ رونق الشباب به ماء شبابى تخاله شرعا
١٨٠ والحيُّ فيه الفتاةُ ترمقنى حتى مضى شأو ذاك فانقشعا[٦]

ويقول **سلامة بن جندل السعدى** من قصيدة تبلغ اثنين وثلاثين بيتاً يتحسر على الشباب ويتفجع لذهابه (٢٠/٤/٣) :

١٨١ أودَى الشباب حميداً ذو التعاجيب أوْدَى ، وذلك شأوٌ غير مطلوب
١٨٢ ولّى حثيثا وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه ركضُ اليعاقيب[٧]
١٨٣ أودى الشباب الذى مجدٌ عواقبه فيه نَلَذُّ ، ولا لذاتِ للشيب
١٨٤ يومان : يومُ مقاماتٍ وأندية ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويب

وقال **أعرابى** (٣٥٢/٢/١) :

١٨٥ لله أيامُ الشباب وعصرُه لايُستعارُ جديدُهُ فَيُعارُ
١٨٦ ماكان أقصر ليلَهُ ونهارَهُ وكذاك أيامُ السرورِ قِصارُ !

ويرى الشعراء أن الحياة بعد ذهاب الشباب تفقد رونقها ، وتصبح لاطعم لها ، فيقول **ابن أبى حازم** (٣٥٢/٢/١ ، ٦٥٥/٢/١١) :

١٨٧ وَلّى الشباب فخَلَّ الدمعَ ينهملُ فَقْدُ الشبابِ بفقدِ الروح مُتَّصِلُ
١٨٨ لاتكذبنّ فما الدنيا بأجمعِها مِنَ الشبابِ بيومٍ واحدٍ بَدَلُ

(٦) أوردنا البيتين اللذين يسبقان هذين تحت ٢ – د – ٢ (حتمية المشيب) بالرقمين ٨٠٣ – ٨٠٤.
(٧) جاء فى المنتخب ١ /٢٠ «يتبعه» بدلا من «يطلبه».

ويقول **جورج صيدح** الشاعر المهجرى (٨٠/٤٨) :

١٨٩ عهدُ الشبابِ وعهدُ الشام إن مضيا فكُلُّ ما أبْقتْ الأيامُ حِرمانُ

ويعبر **على الجارم** عن الشقاء الذى يلازم المرء بعد تَولّى الشباب بقوله (١٧١/٢٢) :

١٩٠ ياخليلى خلِّيانى ومابى أو أعيدا إلىّ عَهْدَ الشباب

ويرى **ابن نباتة** أن الحياة بعد زوال الشباب ماهى إلا شرّ، فيقول متلاعباً بالحروف (٢٢٤/١٦) :

١٩١ آهٍ لشرخ شبابٍ كان لى ومضى واعتضْتُ شرخاً ولكن ماله خاءُ !

ويقول **دعبل بن على بن رزين** (٢٣٦/٢/١٥ – ٢٣٧) :

١٩٢ أين الشباب ؟ وأية سلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضَلَّ ، بل هَلَكا

١٩٣ لاتعجبى ياسَلْم مِنْ رَجُلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكى !

ونجد **أبا نواس** يتحسر على الشباب وكأنما ينعاه فيقول (٨٩/٥٧) .

١٩٤ كان الشباب مطية الجهل ومحسِّن الضحكات والهزل

١٩٥ كان الجمالَ إذا ارتديتُ به ومشيت أخطر صيِّت النعل

١٩٦ كان المشَفَّعَ فى مآربه عند الفتاة ومدرك النيل

إلى أن يقول :

١٩٧ فالآن صرتُ إلى مقاربة وحططتُ عن ظهر الصِّبارحلى

ويرى **المتنبى** أن المشيب إن كان يجىء بالوقار فإن الشباب هو الذى يجدر بنا أن نبكيه ، فيقول من قصيدة له (٣٤٤/٢/١٥) :

١٩٨ فالموت آتٍ والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمقُ

١٩٩ والمرءُ يأمل والحياة شهية والشيب أوقر ، والشبيبة أنزق

٢٠٠ ولقد بكيت على الشباب ولمّتى مسودة ولماء وجهى رونق

٢٠١ حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق !

ويبكى **ولى الدين يكن** شبابه بقوله فى إحدى قصائده (٥١١/٢/١٥) :

٢٠٢ بكت عينى الشبابَ وحين جَفَّتْ مدامِعُها غَدَا يبكى الجَنانُ

ويرى **ابن الرومي** أن البكاء على الشباب أمر لايُلام فيه أحد ، إذ إن المرء لايعرف قدر الشباب إلا حين يولّى ، فنسمعه يقول (١٠٧/٧) :

٢٠٣ لاتلح من يبكى شبيبته إلا إذا لم يبكها بدمِ
٢٠٤ لسنا نراها حق رؤيتها إلا أوان الشيب والهرمِ
٢٠٥ ولربّ شيء لايبيّنه وجدانه إلا مع العدم
٢٠٦ كالشمس لاتبدو فضيلتها حتى تغشى الأرض بالظُلَمِ

وفى هذا المعنى يقول **منصور النَّمرى** (٢١٩/٤١) :

٢٠٧ ماكنتُ أوفى شبابى كنه عِزّتِهِ حتى مضى فإذا الدنيا له تبعُ
٢٠٨ أصبحت لم تطعمى ثكل الشباب تشجى لغصته فالعذر لايقع
٢٠٩ ماكان أقصر أيام الشباب وما أبقى حلاوة ذكراه التى تدع !
٢١٠ ماواجه الشيب من عين وإن رَمقتْ إلا لها نبوة عنه ومرتدع
٢١١ قدكدت تقضى على فوت الشباب أسًى لولا يعزّيك أن العمر منقطع !

وإن حزن الشعراء على ذهاب شبابهم ليجعلهم يتمنون لوكان الشباب شيئاً يباع فيشتروه ، فيقول جرير (٣٥٢/٢/١) :

٢١٢ ولّى الشبابُ حميدةً أيامهُ لوكان ذلك يُشْتَرَى أو يَرْجعُ

ويقول **رؤبة بن العجاج** (٢٨٦/١/٢) :

٢١٣ ليتَ وهل ينفع شيئاً ليتُ ليتَ شباباً بُوعَ فاشتريتُ

لهذا نجد أن الشعراء حين يحضّون على التمتع بالشباب يرون أن مثل ذلك التمتع أمر طبيعى ، فيقول **أبو محمد الحسن التنيسى** من قصيدة طويلة فى وصف الروض (٥٨٤/٧/٤) :

٢١٤ فكيف هجرانُ اللذاذات ولم يَبْدُ نهار الشيب فى ليل الشَّعَرْ
٢١٥ والنّسك فى عصر الصِّبا كأنه من قبحه خلعُ عذارٍ فى الكِبَرْ

والشعراء من أجل ذلك يودعون الشباب وداع عزيز راحل ، فيقول **حافظ إبراهيم** تحت عنوان « وداع الشباب » (٢٥٤/٢٢) :

٢١٦ كم مرَّ فيكَ عيشٌ لستُ أذكُرُه ومرَّ بى فيكَ عيشٌ لستُ أنساه

٢١٧ ودَّعْتُ فيكَ بقايا ماعلقت به من الشباب وماودعتُ ذكراه
٢١٨ أهفو إليك على ما أقرحتْ كبدى من التباريح أولاهُ وأخراه

ويرى **محمود الوراق** أن مايستحق أن يُعَزَّى فيه المرء حقًّا هو فقدان الشباب ، فنسمعه يقول (٣٥٢/٢/١ ، ٤٨٤/٨) :

٢١٩ أليس عجيباً بأن الفتى يُصابُ ببعضِ الذى فى يَدَيْهِ؟
٢٢٠ فمِنْ بين باكٍ له موجَع وبين مُعَزٍّ مفدَّ إليه
٢٢١ ويسلبه الشيبُ شرخَ الشباب فليس يُعزّيه خلقٌ عليه

ولابن الرومى عدة أبيات يتناول فيها هذا المعنى ، منها قوله (٣٧٢/٣/١٢) :

٢٢٢ عاصى العزاء عن الشبا بِ فطاوع الدمع الغزير
٢٢٣ كيف العزاء عن الشبا بِ وغصنه الغضّ النضير
٢٢٤ كيف العزاء عن الشبا بِ وعيشه العيش الغرير
٢٢٥ بانَ الشبابُ وكان لى نِعْمَ المجاورُ والعشير
٢٢٦ بانَ الشبابُ فلا يدٌ نحوى ولا عينٌ تشير
٢٢٧ ولقد أسرت به القلو بَ فقلبى اليوم الأسير

وقوله (٣٧٣/٣/١٢) :

٢٢٨ لعمرك ما الحياة لكلِّ حىّ إذا فقد الشباب سوى عذابِ
٢٢٩ سقى عهد الشبيبة كل غيث أعز مجلجل دانى الربابِ
٢٣٠ يذكرنى الشباب جنان عدْنٍ على جنبات أنهارِ عِذابِ
٢٣١ فيا أسفاً ويا جزعاً عليه وياحزناً إلى يوم الحسابِ
٢٣٢ أأفْجَعُ بالشباب ولا أُعزَّى لقد غفل المعزِّى عن مصابى !

وبعض الشعراء حين يتحسر على الشباب الراحل عنه يتعرض للمشيب النازل بساحته ويقارن بين الساكن النازح والساكن القادم ، كقول **عبد الحميد الكاتب** (٣٢٢/٢/٤٩) :

٢٣٣ تَرَحَّلَ ما ليس بالقافِلِ وأعْقَبَ ماليس بالآئِلِ
٢٣٤ فلهفى من الخلف النازلِ ولهفى على السلف الراحلِ
٢٣٥ أُبكِّى على ذا وأبكى لذا بكاء المولَّهة الثاكِلِ

٢٣٦ تُبكّى من ابن لها قاطع وتَبْكى على ابنٍ لها واصِلِ
٢٣٧ تقضَّتْ غواياتُ سُكر الصِّبا وردَّ التقيُّ عن الباطل

وقول **عبد الرحمن بن خالد** أخو الحارث بن خالد (٣٨٤/٢/٦ ، ٣١٢/٣/٥) :

٢٣٨ رَحَلَ الشبابُ وليته لم يَرْحَلِ ومَضَى لطيَّة ذاهب مُتحمِّل
٢٣٩ ولّى بلا ذمٍّ وغادر بعده شيباً أقام مكانه فى المنزل
٢٤٠ ليت الشباب ثوى لدينا حِقبةً قبل المشيب وليته لم يَرْحل
٢٤١ فنُصيبُ من لذّاته ونعيمه كالعهد إذ هو فى الزمان الأوَّلِ

وإن أشد ما يكون البكاء على الشباب حين يحل الكبر ، وما يصحبه من ضعف فى الجسم وفى السمع والبصر ، فيقول **عمرو بن شأس** (٢١٣/٨/٥) :

٢٤٢ فوانَدمى على الشباب ووانَدَمْ ندمتُ وبانَ اليومَ مِنّى بغير ذَمْ
٢٤٣ وإذ إخوتى مُرْدٌ وإذ أنا شائخٌ وإذ لا أجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ

ذلك لأن الشاعر يرى أن تولّى الشباب إنما هو نذير اقتراب المنية ، وفى هذا يقول **محمود سامى البارودى** (٢٧٨/٢٢) :

٢٤٤ إلامَ يهفو بحلمك الطربُ أبعد الخمسين فى الصِّبا أَرَبُ ؟
٢٤٥ هيهات ولّى الشبابُ واقتربت ساعة ورد دنا بها القرب
٢٤٦ فليس دون الحمام مبتعدٌ وليس نحو الحياة مقترب
٢٤٧ كل امرئٍ سائرٌ لمنزلة ليس لها عن فنائها هرب

ويقول **الشريف المرتضى** فى هذا المعنى أيضاً (٣٧٤/٣/١٢) :

٢٤٨ ألا حبذا زمن الحاجر وإذ أنا فى الورق الناضرِ
٢٤٩ أجرّ ذيل الصِّبا جامحًا بلا آمـــر ولازاجـــر
٢٥٠ إلى أن بدا الشيب فى مفرق فكانت أوائله آخرى

ويقول **الشاعر** (٤٧٧/١١٢/٢١) :

٢٥١ إذا أنا فى عهد الشباب الرائع أجُرُّ بردىَّ إلى المصانع
٢٥٢ هناك أغلى شُبَّمَ البراقع

وفقد الشباب قد يكون إحدى المصائب التى تعادل مصيبة فقدان الأحبة بالموت . كقول **التهامى** فى رثاء ابنه (١٤٨/٢٥) :

٢٥٣ إذا ما تولّى ابنى وولت شبيبتى ... وولّى عزائى فالسلام على الدهر

وإذ يفقد الشاعر شبابه فيفقد بذهابه كل شىء يجد أنه لم يبق لديه سوى الشعر عزاء ، وهكذا نسمع **خليل شيبوب** يقول (٢٦/٣٤) :

٢٥٤ نسيت وقد رقّ الشباب وعطلت ... ثغور المنى وانفض ما أنا حاسِبُه

٢٥٥ مواثيق أيام الشباب الذى مضى ... به العمر وهّاب الشباب وسالبه

٢٥٦ نفضتُ يدى إلا من الشِّعر إنه ... عزائى ، إذا ما الدهرُ حلّت نوائبه